٦

الحضارة شرقا وغربا

مقابلات أجريت مع وسائل الإعلام الأوروبية فى ٢٠ - ٢٢ سبتمبر ٢٠٠١، مع ماريلى مارجومينو من محطة تلفزيون ألفا - اليونان، وميجيل مورا لصحيفة الباييس - إسپانيا، وناتالى ليفيزل لصحيفة ليبراسيون - فرنسا.

سؤال: بعد الهجوم فى الولايات المتحدة، قال وزير الخارجية كولين ل. پاول إن حكومة الولايات المتحدة سوف تراجع القوانين الخاصة بالإرهاب، بما فى ذلك القانون عام ١٩٧٦ الذى يحظر القيام باغتيال الأجانب. كما أن الاتحاد الأوروبى على وشك القيام بتطبيق قانون جديد خاص بالإرهاب. فكيف يمكن أن يصل الرد على الهجمات إلى حد تقييد حرياتنا؟ فمثلاً؛ هل يعطى الإرهاب للحكومة الحق فى وضعنا تحت المراقبة؛ لتعقب المشتبهين ومنع وقوع هجمات فى المستقبل؟

تشومسكى: ربما تكون الإجابة الممعنة فى التجريد مضللة؛ لذا فللننظر فى مثال توضيحى نموذجى مما يجرى الآن لما تعنيه الخطط الموضوعة؛ لتخفيف القيود على عنف الدولة فى التطبيق العملى. فى هذا الصباح ٢١ سبتمبر، نشرت النيويورك تايمز رأيًا لمايكل وولتزر، وهو أحد المفكرين المحترمين، الذى يعد من القادة الأخلاقيين. لقد طالب بشن "حملة أيديولوچية تتناول جميع الحجج الخاصة بالإرهاب والتبريرات التى تساق لشرحه ورفضها جميعًا" وبما إنه، كما يعرف، لا توجد مثل هذه الحجج والمبررات التى تبرر الإرهاب من النوع الذى يفكر فيه، على الأقل من جانب أى شخص يتصف بالعقل، فإن هذا الكلام، فى واقع الأمر، يترجم على أنه دعوة لرفض جميع الجهود المبذولة لاستكشاف الأسباب التى تكمن وراء الأعمال الإرهابية الموجهة ضد دول يؤيدها. ثم يستطرد بطريقة تقليدية،

بوضع نفسه بين أولئك الذين يقدمون "حججًا وأعذارًا للإرهاب" موافقًا بشكل ضمنى على الاغتيال السياسى، بالتحديد اغتيال إسرائيل للفلسطينيين الذين تزعم إسرائيل أنهم يدعمون الإرهاب، دون أن يقدم أحد دليلاً أو يعد ذلك ضروريّا، وفى الكثير من الحالات، فإن الشكوك نفسها تبدو على غير أساس. "والخسائر المصاحبة لذلك" من نساء وأطفال، وكذلك الآخرون الموجودون فى المكان الذى تقع فيه عملية الاغتيال، يعاملون بالطريقة المعتادة حسب المعيار المتبع. وظلت طائرات الهليكوبتر الهجومية التى زودت بها الولايات المتحدة إسرائيل تستخدم فى مثل تلك الاغتيالات لمدة عشرة أشهر. ويضع وولتزر كلمة "اغتيال" بين قوسين مشيرًا إلى أن الاصطلاح من وجهة نظره، يعد جزءًا مما يسميه "الروايات الشائهة المحمومة لحصار العراق والصراع الفلسطينى الإسرائيلى". وهو فى ذلك يشير إلى النقد الذى وجه إلى الفظائع التى ترتكبها إسرائيل بمساندة من الولايات المتحدة فى الأراضى الواقعة تحت احتلال عسكرى عنيف قاس لما يقرب من ٣٥ سنة، وكذلك النقد الذى يوجه لسياسات الولايات المتحدة التى حطمت المجتمع المدنى فى العراق، فى حين تقوى صدام حسين! مثل هذه الانتقادات هامشية فى الولايات المتحدة ولكن يبدو أنها أكثر من احتماله. وربما يقصد وولتزر حين يقول "الروايات الشائهة" الإشارات من حين إلى حين إلى ماقالته وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت حين سئلت على شاشات التلفزيون الوطنى (ناشيونال تى. ڤى) عمّا يقدر بنصف مليون من الموتى من أطفال العراق نتيجة لنظام العقوبات. واعترفت بأن هذه العواقب هى "اختيار صعب" بالنسبة لإدارتها، لكنها قالت: "إننا نعتقد أن الأمر يستحق هذا الثمن" أذكر هذا المثال الوحيد، الذى يسهل فهم أبعاده، لتوضيح وتصوير المعنى المجسد لإرخاء القيود على عمل الدولة. وربما نعيد إلى الذاكرة أنه من الشائع أن تبرر الدول الإجرامية التى تستخدم العنف أعمالها باعتبارها "مناهضة للإرهاب" مثال على ذلك، مقاتلة النازيين للمقاومة. ومن الشائع أن يبرر مثل هذه الأفعال مفكرون محترمون. وليس هذا بتاريخ قديم. ففى ديسمبر ١٩٨٧ فى ذروة القلق من الإرهاب الدولى، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الرئيسى فى هذا الشأن، منددة بهذا الطاعون بأقوى الألفاظ، مطالبة جميع

الدول بأن تعمل بشدة للتغلب عليه. وتمت الموافقة على القرار بتأييد ١٥٣ دولة أمام معارضة صوتين: الولايات المتحدة وإسرائيل، وهوندوراس فقط امتنعت عن التصويت. تقول الفقرة التى أحسوا بالغضب منها: "لا يوجد فى القرار الحالى ما يعارض، بأى حال، الحق فى تقرير المصير، والحرية والاستقلال، المستمدة من ميثاق الأمم المتحدة، للشعوب التى حرمت بالقوة من هذا الحق... وعلى الأخص الشعوب الواقعة تحت نظم استعمارية وعنصرية والاحتلال الأجنبى، وغير ذلك من أشكال السيطرة الاستعمارية، ولاحق تلك الشعوب فى الكفاح لتحقيق هذه الغاية، وأن تسعى وتتلقى العون طبقا للميثاق وغير ذلك من مبادئ القانون الدولى". هذه الحقوق لا تقبلها الولايات المتحدة وإسرائيل؛ أو حليفتهما فى جنوب أفريقيا، فى ذلك الوقت. بالنسبة لواشنطون، كان المؤتمر الوطنى الأفريقى "تنظيمًا إرهابيّا" لكن جنوب أفريقيا لم تلحق بكوبا وغيرها "كدولة إرهابية" ذلك أن "تفسير واشنطون "للإرهاب" هو الذى يسود بالطبع، من الناحية العملية، مع قسوة ذلك على البشر. هناك، الآن، حديث كثير عن وضع ميثاق شامل ضد الإرهاب، وهذه ليست بالمهمة الهينة. والسبب فى ذلك، وهو سبب تتحاشى التقارير ذكره، أن الولايات المتحدة لن تقبل أى شىء شبيه بتلك الفقرة المثيرة للغضب التى وردت فى القرار الصادر عام ١٩٨٧، كما لن يقبله أى من حلفائها، لا ولا حتى إذا اتفق تعريف "الإرهاب" مع التعريفات الرسمية فى قانون الولايات المتحدة أو كتيبات الجيش. لكنه يكون مقبولاً فقط إذا أمكن، بشكل ما، إعادة تشكيله بحيث يستبعد إرهاب الأقوياء أو عملائهم. بالطبع هناك الكثير من العوامل التى يجب دراستها عند التفكير فى سؤالك. غير أن السجل التاريخى له أهمية بالغة. ولا يمكن الإجابة على السؤال بشكل غاية فى العمومية. فهو يتوقف على ظروف شديدة الخصوصية ومواقف شديدة الخصوصية.

سؤال: لقد قرر البرلمان الألمانى بالفعل أن ينضم الجنود الألمان للقوات الأمريكية، مع أن ثمانين فى المائة من الشعب الألمانى لا يوافقون على ذلك، طبقًا لمسح أجراه معهد فورسا. فهل لديك أفكار فى هذا الموضوع؟

تشومسكى: فى الوقت الحاضر تتردد القوى الأوروبية فى ما يتعلق بالانضمام لحرب واشنطون الصليبية؛ لأنها تخشى من أن الولايات المتحدة سوف تقدم لابن لادن أو آخرين مثله طريقة لتعبئة اليائسين الغاضبين فى جانب قضيتهم إذا ما شنت الولايات المتحدة هجومًا كبيرًا ضد الأبرياء. وسوف تكون عواقب ذلك أشد رعبًا.

سؤال: ما رأيك فى أن تتصرف الدول كمجتمع عولمى فى زمن الحرب؟

تشومسكى: ليست هذه هى المرة الأولى التى فرض على كل دولة أن تتحالف مع الولايات المتحدة وإلا اعتبرت عدوًا، ولكن أفغانستان تعلن الشىء نفسه. إدارة بوش تقدمت على الفور، لدول العالم باختيار: انضموا إلينا، أو واجهوا الدمار. (ملحوظة المحرر: يشير تشومسكى هنا، إلى اقتباس نشرته النيويورك تايمز، ١٤ سبتمبر ٢٠٠١، انظر صفحة ٤٦) يعترض المجتمع العالمى على الإرهاب بشدة، بما فى ذلك الإرهاب الهائل الذى تمارسه الدول القوية، وكذلك الجرائم البشعة التى حدثت فى الحادى عشر من سبتمبر. لكن "المجتمع العالمى" لا يتحرك. وحين تستخدم الدول الغربية ومفكرو الغرب اصطلاح "المجتمع الدولى" إنما هم يشيرون إلى أنفسهم. إن أولئك الذين لم يؤيدوا ما تفعله القوة والثروة ليسوا جزءًا من "المجتمع العالمى" تمامًا، كما أن الإرهاب يعنى تقليديًا "الإرهاب الموجه ضدنا نحن وأصدقائنا". فلا غرو إذن فى أن تحاول أفغانستان أن تحاكى الولايات المتحدة فى دعوة المسلمين للمساندة. على نطاق أصغر بكثير بالطبع. وبالرغم من ابتعاد زعماء الطالبان عن العالم الخارجى، فإنهم يعرفون تمام المعرفة أن الدول الإسلامية ليست صديقة لهم. بل إن هذه الدول، فى حقيقة الأمر، تعرضت لهجمات إرهابية من جانب القوة الإسلامية المتطرفة التى تم تنظيمها وتدريبها؛ كى تجاهد ضد اتحاد الجمهوريات السوفييتية منذ عشرين عامًا، وبدأت فى استكمال جدول أعمالها الإرهابى فى أماكن أخرى على الفور باغتيال الرئيس المصرى أنور السادات.

سؤال: حسب كلامك، فإن الهجوم على أفغانستان يعد حربًا على الإرهاب؟

تشومسكى: ربما يقتل الهجوم على أفغانستان الكثيرين من المدنيين الأبرياء، بل من الممكن أن يقتل أعدادًا غفيرة فى بلاد فيها ملايين بالفعل على شفا الموت بسبب المجاعة. فالقتل المتهور الأهوج لملايين الأبرياء هو إرهاب، وليس حربًا على الإرهاب.

سؤال: هل يمكن أن تتصور كيف يمكن أن يكون الموقف لو أن الهجوم الإرهابى على الولايات المتحدة قد حدث أثناء الليل، حين يكون عدد قليل جدّا من الناس فى مركز التجارة العالمى؟ بعبارة أخرى، لو كان هناك القليل جدّا من الضحايا، هل كان رد فعل الحكومة الأمريكية يتم بالطريقة نفسها؟ إلى أى حد هى متأثرة برمز هذه الكارثة؟ أى أن ما هوجم هو مبنى وزارة الدفاع والبرجين التوأمين؟

تشومسكى: أشك فى أن هذا كان يمكن أن يحدث أى فرق. بل كانت تعد جريمة فظيعة، حتى لو كان عدد الموتى أقل بكثير. فمبنى وزارة الدفاع أكثر من "رمز" لأسباب ليست فى حاجة إلى تعليق. أما عن مركز التجارة العالمى، فنحن نكاد لا نعرف ماذا كان يجرى فى عقول الإرهابيين حين هاجموه عام ١٩٩٣، ودمروه فى الحادى عشر من سبتمبر. غير أننا يمكن أن نكون على ثقة من أن ما كان يدور فى عقولهم يكاد يكون عديم العلاقة بأمور مثل "العولمة" أو "الإمبريالية الاقتصادية" أو "القيم الحضارية" فهى أمور لا يألفها ابن لادن ورفاقه أو غيرهم من المتطرفين الإسلاميين مثل أولئك المتهمين بإلقاء القنابل عام ١٩٩٣، ولا تهمهم هذه الأمور على الإطلاق، فى حد ذاتها. فمن الواضح أن الفظائع التى ارتكبوها عبر السنين تسببت فى ضرر بالغ للفقراء والمقهورين فى العالم الإسلامى أو غيره من الأماكن، وفى الحادى عشر من سبتمبر مرة أخرى. ومن بين الضحايا - على نحو مباشر - الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال العسكرى، كما لا بد أن يكون الجناة قد عرفوا. فاهتماماتهم مختلفة، وكان ابن لادن، على الأقل، فصيحًا فى التعبير عن هذه الاهتمامات فى الكثير من المقابلات: قلب النظم الفاسدة القمعية فى العالم العربى وإحلال نظم "إسلامية" محلها لدعم المسلمين فى نضالهم ضد "الكفار" فى السعودية، التى يعتبر أنها تحت احتلال الولايات المتحدة، وكذلك الشيشان والبوسنة وغرب الصين وشمال أفريقيا وجنوب شرق آسيا؛ وربما أماكن أخرى. ومن المناسب للمفكرين فى الغرب أن يتحدثوا عن "قضايا أعمق" مثل كراهية القيم الغربية، والتقدم. فهذه طريقة مفيدة لتحاشى تناول أسئلة تتعلق بأصل شبكة ابن لادن نفسها، وعن الممارسات التى تؤدى إلى الغضب، والخوف، واليأس الذى يعم المنطقة، ويقدم منهلاً يمكن للخلايا

الإرهابية المتطرفة أن تنهل منه. ولما كانت إجابات هذه الأسئلة واضحة إلى حد ما، ولا تتماشى مع المبدأ المفضل، فيحسن استبعاد الأسئلة باعتبارها "سطحية" و "عديمة المغزى" والالتفات إلى "قضايا أكثر عمقًا" وهى فى حقيقة الأمر، أكثر سطحية حتى إذا كانت متعلقة بهذه القضايا.

سؤال: هل نسمى ما يحدث الآن حربًا؟

تشومسكى: لا يوجد تعريف دقيق "للحرب". فالناس يتحدثون عن "الحرب على الفقر" و "حرب المخدرات" إلخ. وما يتشكل الآن ليس صراعًا بين دول، رغم أنه يمكن أن يصبح كذلك.

سؤال: هل يمكننا أن نتحدث عن صراع بين حضارتين؟

تشومسكى: هذا الحديث رائج هذه الأيام شأنه شأن الموضة، غير أن به القليل من المعنى. فلنفترض أننا سوف نجرى مراجعة مختصرة للتاريخ المألوف. سوف نجد أن أكبر الدول الإسلامية من حيث السكان هى إندونيسيا، وهى دولة ذات حظوة لدى الولايات المتحدة منذ تولى سوهارتو السلطة عام ١٩٦٥، حين قضت المذابح التى يقودها الجيش على مئات الآلاف من الناس، وأغلبهم من الفلاحين الذين لا يمتلكون أية أراض زراعية، وكان ذلك بمساعدة الولايات المتحدة. وشعر الغرب بالانتشاء بشكل يسبب قدرًا هائلاً من الحرج حين نفكر فيه بأثر رجعى، حتى أننا محونا ذلك الشعور من الذاكرة محوًا تامًا. وظل سوهارتو "نوع الرجال الذى نفضله" كما كانت إدارة كلينتون تطلق عليه، وهو يكدس واحدًا من أبشع سجلات القتل والتعذيب وغير ذلك من جرائم أواخر القرن العشرين. كما أن أكثر الدول الإسلامية أصولية ـ باستثناء الطالبان ـ هى السعودية وهى صديق مفضل للولايات المتحدة منذ إنشائها. وفى الثمانينيات من القرن العشرين، قامت الولايات المتحدة ومعها المخابرات الباكستانية بمساعدة من السعودية، وبريطانيا وغيرها بتعبئة وتسليح وتدريب كل ما استطاعت العثور عليه من أشد الأصوليين الإسلاميين تطرفًا؛ لإنزال أقصى قدر ممكن من الضرر بالسوفييت فى أفغانستان. وكما يكتب سيمون چينكينز فى التايمز: إن هذه الجهود "حطمت نظامًا معتدلاً وأوجدت نظامًا

متعصبًا، من جماعات مولها الأمريكان بطيش" من المحتمل أن معظم التمويل كان سعوديًا. وكان من بين المستفيدين استفادة غير مباشرة أسامة بن لادن. كما أنه في الثمانينيات من القرن العشرين، أعطت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة دعمًا قويًا لصديقهما وحليفهما صدام حسين. وهو بالطبع، أكثر علمانية لكنه على الجانب الإسلامي من "الصراع" طوال الفترة التي ارتكب فيها أبشع ما اقترف من فظائع، بما في ذلك إلقاء الغاز على الأكراد، وما هو أكثر بشاعة من ذلك. كما حاربت الولايات المتحدة في الثمانينيات أيضًا حربا كبرى في أمريكا الوسطى، مخلفة ٢٠٠٠٠٠٠ من الجثث التي عذب أصحابها ومثل بهم، والملايين من اليتامى واللاجئين وأربع دول محطمة. وكانت الكنيسة الكاثوليكية هدفًا رئيسيًا من أهداف هجوم الولايات المتحدة؛ لأن الكنيسة ارتكبت أشد الخطايا بتبنيها "لاختيار الانحياز للفقراء". وفي أوائل التسعينيات، ولأسباب تتعلق بالقوة، اختارت الولايات المتحدة مسلمي البوسنة؛ كي يكونوا عملاءها في البلقان، ولم يكن ذلك لفائدتهم(*). لذا دون الاستطراد في هذا كله، نسأل أين بالضبط يوجد الخط الفاصل بين الحضارات؟ هل علينا أن نستنتج أن هناك "صراع حضارات" تقف فيه الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية في جانب، والولايات المتحدة والعالم الإسلامي، بما فيه من أشد العناصر إجرامًا وتعصبًا في الجانب الآخر؟ بالطبع أنا لا أوحي بمثل هذا الكلام العبثي. ولكن ماذا يمكن لنا أن نستنتج على الأسس العقلانية؟

سؤال: هل تعتقد أننا نستخدم كلمة "حضارة" الاستخدام السليم؟ وهل من الممكن أن يجرنا عالم متحضر حقًا إلى حرب عالمية كهذه؟

تشومسكي: لا يمكن أن يتسامح أي مجتمع متحضر مع أي شيء ذكرته توًا. وما ذكرته هو مجرد عينة ضئيلة من تاريخ الولايات المتحدة، بل إن التاريخ الأوروبي أشد سوءًا. ومن المؤكد أنه لا يوجد "عالم متحضر" يمكن أن يغرق العالم في أتون حرب كبرى بدلاً من اتباع الوسائل التي يصفها القانون الدولي، واتباع الكثير من السوابق.

سؤال: لقد أطلق على الهجمات أنها عمل من أعمال الكراهية. فمن أين، حسب رأيك، تأتي هذه الكراهية؟

(*) تساعد الولايات المتحدة وأوروبا الشيوعيين القدامى في البوسنة ضد التيار الإسلامي، من بعد اتفاقية دايتون بشهور قليلة ـ الناشر.

تشومسكى: بالنسبة للمتطرفين الإسلاميين الذين عبأتهم وكالة المخابرات المركزية وشركاؤها، فإن الكراهية هى بالضبط ما يعبرون عنه. وكانت الولايات المتحدة مبتهجة بدعم كراهيتهم وعنفهم حين كان موجهًا لأعداء الولايات المتحدة؛ ولا يسعدها أن يتجه الكره الذى ساعدت على تغذيته ضد الولايات المتحدة وحلفائها، كما حدث مرات كثيرة فى العشرين سنة الأخيرة. أما بالنسبة لسكان المنطقة، وهى فئة مختلفة تمام الاختلاف، فإن أسباب المشاعر التى يشعرون بها ليست غامضة. كما أن مصدر هذه العواطف معلوم تمامًا.

سؤال: وماذا يمكن لمواطنى العالم الغربى أن يفعلوا، حسب اعتقادك، لاستعادة السلام؟

تشومسكى: يتوقف الأمر على ما يريده هؤلاء المواطنون. فإذا كانوا يريدون دائرة متصاعدة من العنف، على النمط المعهود، فمن المؤكد أن عليهم أن يدعوا الولايات المتحدة إلى أن تقع فى "الفخ الشيطانى" لابن لادن، وتقتل المدنيين الأبرياء. أما إذا كانوا يريدون أن يخففوا من مستوى العنف، فعليهم أن يستخدموا تأثيرهم لتوجيه القوى العظمى فى طريق مختلف تمامًا، أعنى الطريق الذى وصفته قبل ذلك، وهو، مرة أخرى، طريق له الكثير من السوابق. ويشمل هذه الإرادة لفحص ما يكمن وراء ما وقع من أعمال فظيعة. كثيرًا ما يسمع المرء أننا لا ينبغى أن نفكر فى هذه الأمور؛ لأن ذلك سوف يكون تبريرًا للإرهاب. وهذا وضع غاية فى الحمق والتدمير حتى أنه لا يستحق التعليق. غير أنه للأسف موقف شائع. ولكن إذا كنا لا نرغب فى الإسهام فى تصعيد دائرة العنف، التى سوف تستهدف الأغنياء والأقوياء أيضًا، فإن هذا بالضبط هو ما ينبغى علينا عمله، فى جميع الأحوال، بما فى ذلك تلك الأحوال المعروفة تمام المعرفة فى إسپانيا. [ملحوظة المحرر: هنا تجرى الصحافة الإسپانية اللقاء مع تشومسكى، ومن ثم إشاراته لإسپانيا].

سؤال: هل "تسببت" الولايات المتحدة فى هذه الهجمات؟ هل هى تبعات السياسات الأمريكية؟

تشومسكى: ليست الهجمات "تبعات" لسياسات الولايات المتحدة بالمعنى

المباشر بأى حال. ولكن بشكل غير مباشر، هى كذلك بالطبع؛ وليس هذا حتى موضع جدال. إذ يبدو أن هناك قليلاً شك فى أن مرتكبى هذه الهجمات يأتون من الشبكة الإرهابية التى توجد جذورها فى الجيوش المرتزقة، التى تم تنظيمها وتدريبها وتسليحها بواسطة وكالة المخابرات المركزية ومصر وباكستان والمخابرات الفرنسية والتمويل السعودى وغيرها. وتظل خلفيات هذا كله مشوشة إلى حد ما. بدأ تنظيم هذه القوات عام ١٩٧٩، إذا جاز لنا أن نصدق مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى بريزنيسكى. إذ أنه زعم، وقد يكون هذا من باب التفاخر، أنه فى منتصف ١٩٧٩ كان قد حث على إعطاء الدعم السرى للمجاهدين الذين يقاتلون حكومة أفغانستان فى جهد لجر الروس إلى ما أسماه "فخ أفغانى" وهى عبارة جديرة بالتذكر. وهو شديد الزهو بأنهم سقطوا فى "الفخ الأفغانى" وذلك بإرسال قوات عسكرية لمساندة الحكومة بعد ذلك بستة أشهر، وحدث ما نعرف من العواقب. وجمعت الولايات المتحدة هى وحلفاؤها جيشًا ضخمًا من المرتزقة، ربما بلغ ١٠٠٠٠٠ أو أكثر، واستجلبوه مما استطاعوا العثور عليه من أشد القطاعات تشددًا. وحدث أن هذه القطاعات كانت من الإسلاميين المتطرفين، إنهم من يسمون هنا بالأصوليين الإسلاميين من جميع الأنحاء، ومعظمهم لم يكونوا من الأفغان. وهم يسمون "الأفغان" لكن مثل ابن لادن، يأتى الكثير منهم من أماكن أخرى. وانضم ابن لادن إلى هذا الجيش فى وقت ما من الثمانينيات. وكان يعمل فى شبكات التمويل، التى ربما كانت هى الشبكات التى ما تزال موجودة. وحاربوا حربًا مقدسة ضد المحتلين الروس. وحملوا الإرهاب إلى داخل الأراضى الروسية. وكسبوا الحرب وانسحب الغزاة الروس. ولم تكن الحرب هى نشاطهم الوحيد. ففى ١٩٨١، اغتالت القوات الموجودة فى هذه الجماعات الرئيس السادات رئيس مصر الذى ساعد على إنشاء هذه القوات. وفى ١٩٨٣ كان لأحد الانتحاريين دور جوهرى فى دحر العسكريين الأمريكيين من لبنان. وربما كانت له صلات بهذه القوات. واستمر الحال. ومع مقدم عام ١٩٨٩، كانوا قد نجحوا فى حربهم المقدسة فى أفغانستان. وما أن أقامت الولايات المتحدة وجودًا عسكريًا دائمًا فى السعودية حتى أعلن ابن لادن وبقية القوات أنه من وجهة نظرهم هذا يقارن بالاحتلال الروسى لأفغانستان، ووجهوا بنادقهم نحو الأمريكان، كما حدث سابقًا عام ١٩٨٣ حين

كانت للولايات المتحدة قوات عسكرية فى لبنان. وتعد السعودية عدوّا رئيسيّا لشبكة ابن لادن، مثلها مثل مصر. فهم يريدون القضاء على ما يسمونه الحكومات غير الإسلامية فى مصر والسعودية وغيرهما من حكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. واستمر الحال. وفى ١٩٩٧، قتلوا ما يقرب من ستين سائحًا فى مصر، ودمروا صناعة السياحة المصرية. وظلوا لعدة سنوات يقومون بنشاط فى جميع أنحاء المنطقة، فى شمال وشرق أفريقيا والشرق الأوسط والبلقان ووسط آسيا وغرب الصين وجنوب شرق آسيا، والولايات المتحدة. هذه إحدى الجماعات. وهى نتاج حروب الثمانينيات، وإذا جاز لنا أن نصدق بريزنيسكى، كانت موجودة حتى قبل ذلك الوقت، حين نصبوا "الفخ الأفغانى". بل أكثر من ذلك، فإن الإرهابيين يستمدون قوتهم من مخزون اليأس والغضب والإحباط الذى يمتد من الأغنياء حتى يشمل الفقراء، ومن العلمانيين إلى المتطرفين الإسلاميين. وهذه أمور معروفة معرفة تامة لأى شخص يهتم بهذه المنطقة. ومن الجلى الواضح لكل راغب فى الإصغاء أن أصل هذا يرجع إلى حد كبير إلى سياسات الولايات المتحدة.

سؤال: لقد قلت إن أكبر من يمارسون الإرهاب دول مثل الولايات المتحدة التى تستخدم العنف لتحقيق دوافع سياسية. متى وكيف؟

تشومسكى: أرى أن هذا السؤال مربك. كما سبق أن قلت فى موضع آخر، الولايات المتحدة، فى نهاية الأمر، هى الدولة الوحيدة التى أدانتها المحكمة الدولية لارتكابها الإرهاب الدولى - "بسبب الاستخدام غير المشروع للقوة" لتحقيق أهداف سياسية، كما قالت المحكمة - وأمرت الولايات المتحدة بأن تضع حدّا لهذه الجرائم، وأن تدفع تعويضات كبيرة. وقد رفضت الولايات المتحدة، بالطبع، حكم المحكمة بازدراء، وكان رد فعلها هو تصعيد الحرب الإرهابية على نيكاراجوا، واستخدام حق النقض "الفيتو" لإفشال قرار من مجلس الأمن يدعو جميع الدول إلى أن تراعى القانون الدولى، وصوتت وحدها ومعها إسرائيل، وفى إحدى الحالات السلفادور ضد قرارات مشابهة من الجمعية العامة. وامتدت الحرب الإرهابية تطبيقًا للسياسة الرسمية القاضية بمهاجمة "الأهداف اللينة" مثل الأهداف المدنية التى لا توجد قوات تدافع عنها، كالجمعيات الزراعية، والعيادات الصحية -

بدلاً من الاشتباك مع جيش نيكاراجوا. وكان الإرهابيون قادرين على تنفيذ هذه التعليمات بفضل السيطرة التامة على المجال الجوى لنيكاراجوا من جانب الولايات المتحدة، وكذلك بفضل المعدات المتقدمة للاتصالات التى قدمها إليهم المشرفون عليهم. كما ينبغى الاعتراف بأن هذه الأعمال الإرهابية كانت تلقى موافقة واسعة النطاق. إذ جادل ميكل كينزلى، أحد المعلقين البارزين فى أقصى الجناح الليبرالى بأننا لا يجب أن نكتفى برفض تبريرات وزارات الخارجية للهجمات الإرهابية على "الأهداف اللينة" وكتب أن لا بد من "سياسة متعقلة" تستجيب "لتحليل لاختبار التكلفة والفائدة" أى تحليل "لكمية الدماء والبؤس الذى سوف يعم، واحتمال نشوء الديموقراطية فى الطرف الآخر" الديموقراطية، كما تفهم الولايات المتحدة هذه الكلمة، وهو تفسير واضح تمام الوضوح فى المنطقة. فمن المسلم به أن نخب الولايات المتحدة لها الحق فى إجراء هذا التحليل وتنفيذ المشروع إذا ما نجح فى الاختبار الذى تجريه هذه النخب. والشىء الأكثر إثارة من ذلك، أن فكرة أن نيكاراجوا يجب أن يكون لها الحق فى الدفاع عن نفسها اعتبرت فكرة مثيرة للغضب على اتساع الطيف السياسى فى الولايات المتحدة. وضغطت الولايات المتحدة على الحلفاء لايقاف تزويد نيكاراجوا بالسلاح آملة فى أن تتجه إلى روسيا، كما فعلت؛ فيقدم ذلك صور الدعاية المطلوبة. ذلك أن إدارة ريجان كثيراً ما روجت الإشاعات بأن نيكاراجوا تتلقى المقاتلات النفاثة من روسيا - لحماية مجالها الجوى، كما يعرف الجميع، ولتمنع الهجمات الإرهابية التى تشنها الولايات المتحدة على "الأهداف اللينة." كانت الإشاعات كاذبة لكن رد الفعل كان مفيداً. ذلك أن الحمائم تشككوا فى الإشاعات، لكنهم قالوا إذا ما كانت صحيحة، فيجب، بالطبع، أن نقصف نيكاراجوا؛ لأنها ستشكل تهديداً لأمننا. ولقد كشفت قاعدة المعلومات عن أنه لم تكد توجد أى اشارة تدل على أن نيكاراجوا كان لها الحق فى الدفاع عن نفسها. ويكشف هذا لنا الكثير عن "ثقافة الإرهاب" المتأصلة والتى تسود الحضارة الغربية. وليس هذا بأى حال، هو أشد الأمثلة غلواً؛ إنى أذكره لأنه لا خلاف عليه، إذا ما أخذنا فى الاعتبار إدانة المحكمة الدولية، وأذكره لأن جهود نيكاراجوا الفاشلة لاتباع الوسائل القانونية، بدلاً من إطلاق القنابل فى واشنطون، تقدم نموذجًا لما يحدث اليوم، وليس هو النموذج الوحيد. فلم تكن نيكاراجوا إلا مكونًا من

مكونات حرب واشنطون الإرهابية فى أمريكا الوسطى فى ذلك العقد الرهيب. التى خلّفت مئات الآلاف من الموتى كما دمرت أربعة من البلاد. فى أثناء تلك السنين كانت الولايات المتحدة تنفذ الإرهاب واسع النطاق فى أماكن أخرى، بما فى ذلك الشرق الأوسط، وسأضرب مثالاً واحدًا، وأعنى به السيارة المفخخة خارج المسجد فى بيروت عام ١٩٨٥، والتى كانت موقوتة؛ لكى تقتل أكبر عدد من المدنيين، فمات ٨٠، وأصيب ٢٥٠، وكان هدف العملية شيخ مسلم لكنه نجا. كذلك فإن الولايات المتحدة ساندت الكثير من عمليات الإرهاب الأشد سوءًا مثلا غزو إسرائيل للبنان الذى قتل ما يقرب من ١٨٠٠٠ من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، ولم يكن ذلك دفاعًا عن النفس، وهذا ما اعترف به على الفور؛ وكذلك دائرة فظائع "القبضة الحديدية" التى امتدت فى السنين التالية، والتى استهدفت "الإرهابيين القرويين" كما كانت إسرائيل تقول. وما تلا ذلك من غزوى ١٩٩٣ و ١٩٩٦، اللذين أيدتهما الولايات المتحدة تأييدًا قويّا. إلى أن حدث رد الفعل الدولى على مذبحة قانا، والذى جعل كلينتون يتراجع. من المحتمل أن عدد القتلى فى لبنان وحدها ما بعد عام ١٩٨٢ يصل إلى ٢٠٠٠٠ من المدنيين الآخرين. وفى التسعينيات قدمت الولايات المتحدة ثمانين فى المائة من الأسلحة لحملة تركيا ضد التمرد الذى قام به الأكراد فى الجنوب الشرقى؛ مما أدى إلى قتل عشرات الآلاف، وهروب ثلثى مليون من منازلهم، وتدمير ٢٥٠٠ قرية، وهو سبعة أضعاف ما حدث فى كوسوفو؛ بسبب غزو حلف الأطلنطى. وقد فعلت تركيا ذلك بكل ألوان البشاعة التى يمكن تصورها. وازداد تدفق الأسلحة بغزارة عام ١٩٨٤ مع شن تركيا لهجومها الإرهابى، ولم تبدأ فى العودة إلى مستوياتها السابقة إلا عام ١٩٩٩، حين حققت أعمالها البشعة هدفها. وفى ١٩٩٩ تراجعت تركيا عن مكانها باعتبارها الدولة الأولى من حيث تلقى الأسلحة من الولايات المتحدة، باستثناء إسرائيل ومصر، ولكن حلت محلها كولومبيا، أسوأ منتهكى حقوق الإنسان فى نصف الكرة فى التسعينيات من القرن العشرين، وهى إلى حد بعيد أكبر متلق للأسلحة والتدريب من الولايات المتحدة سيرًا على نمط متماسك من السياسة. لقد ذكرت قبل ذلك الدمار الذى لحق بالمجتمع المدنى العراقى، وموت نحو مليون نسمة، ما يزيد عن نصفهم من الشباب والأطفال،

حسب تقارير لا يمكن تجاهلها ببساطة. وما هذه سوى عينة صغيرة. وإنى لمندهش بصراحة من إثارة السؤال - على الأخص فى فرنسا، التى قدمت إسهاماتها فى إرهاب الدولة وعنفها المروع، والذى هو بالتأكيد مألوف.

[ملحوظة المحرر: هنا يتحدث تشومسكى مع وسائل الإعلام الفرنسية، ومن ثم كانت الإشارات لفرنسا].

سؤال: هل ردود الأفعال إجماعية فى الولايات المتحدة؟ هل تشارك ردود الأفعال هذه كليّا أم جزئيّا؟

تشومسكى: إذا كنت تقصد رد الفعل الغاضب من الهجوم الإجرامى المروع، والتعاطف مع الضحايا، إذن فإن ردود الأفعال تقريبًا إجماعية فى كل مكان، بما فى ذلك البلاد الإسلامية. فكل شخص عاقل بالطبع، يشعر بهذا الشعور كليّا، وليس "جزئيا". ووأما إذا كنت تشير إلى النداءات بشن هجمات إجرامية، سوف تقتل، بالتأكيد العديد من الأبرياء - وبالمناسبة تستجيب لأحر دعوات ابن لادن - فلا يوجد مثل "رد الفعل الإجماعى" هذا، رغم الانطباعات السطحية التى يستقيها المرء من مشاهدة التلفزيون. أما عنى، فانى أنضم للكثيرين فى معارضة مثل هذه الأعمال. الكثيرين جدا. لا يستطيع أحد أن يقول إن عواطف الغالبية شديدة التعقيد. ولكن "إجماعًا" بالتأكيد لا، إلا فى ما يتعلق بطبيعة الجريمة.

سؤال: هل تندد بالإرهاب؟ وكيف لنا أن نحكم على أى الأفعال بأنه إرهاب وأيها عمل من أعمال المقاومة ضد أحد الطغاة أو قوة محتلة؟ وفى أى الفئات "تصنف" الإضراب الأخير ضد الولايات المتحدة؟

تشومسكى: إنى أفهم كلمة "إرهاب" بالضبط بالمعنى المحدد فى الوثائق الرسمية "الاستخدام المحسوب للعنف أو التهديد بالعنف؛ لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية أيديولوچية فى طبيعتها. ويتم ذلك من خلال الترهيب أو الإجبار أو بذر الخوف" وطبقًا لهذا التعريف - المناسب تمامًا - فإن الهجوم الأخير على الولايات المتحدة هو بالتأكيد عمل من أعمال الإرهاب، بل هو فى الواقع، جريمة إرهابية مروعة. ولا يكاد يوجد أى اختلاف حول ذلك فى كل أنحاء العالم، ولا يجب أن يكون. ولكن جنبًا إلى جنب مع المعنى الحرفى للكلمة، كما

اقتبست من الوثائق الرسمية للولايات المتحدة، هناك أيضًا استخدام دعائى، وهو بكل أسف الاستخدام المعيارى، فكلمة "إرهاب" تستخدم للإشارة إلى الأعمال الإرهابية التى يرتكبها الأعداء ضدنا أو ضد حلفائنا. ويكاد هذا الاستخدام الدعائى يكون استخدامًا عالميًا. فالكل "يندد بالإرهاب" بهذا المعنى للكلمة. وحتى النازيون نددوا بالإرهاب وأقاموا ما أسموه "مكافحة الإرهاب" ضد إرهاب الوطنيين! ووافقت الولايات المتحدة من حيث الأساس، وقامت بتنظيم "عمليات لمكافحة الإرهاب" فى اليونان وفى أماكن أخرى فى السنوات التى تلت الحرب.

[ملحوظة المحرر: فى هذا الجزء كان من أجرى الحديث صحفى يونانى، ومن هنا كانت إشارات تشومسكى لليونان].

بل إن برامج الولايات المتحدة لمكافحة القلاقل، استمدت الإلهام بوضوح من النموذج النازى، الذى كان يعامل باحترام، وكان ضباط فيرماخت يستشارون وكانت كتيباتهم تستخدم فى تصميم برامج مكافحة القلاقل فى كل أنحاء العالم، وتسمى "مكافحة الإرهاب" وهى أمور درسها مايكل ماكلينتوك فى عمل له أهمية خاصة. فإذا أخذنا هذه الأمور، فإن الناس ذاتهم و الأعمال نفسها يمكن بسرعة أن تنتقل من كونها "إرهابية" إلى "مقاتلين من أجل الحرية"، ثم تعود إلى وضعها السابق مرة أخرى! وهذا يحدث بالقرب من اليونان فى السنوات الأخيرة. إذ نددت الولايات المتحدة رسميًا بالكلا أوك باعتبارهم "إرهابيين" عام ١٩٩٨؛ بسبب ما شنوه من هجمات على البوليس الصربى والمدنيين فى مسعى لانتزاع رد صربى قاس غير متناسب كما أعلنوا بصراحة. وفى وقت مبكر يرجع إلى يناير عام ١٩٩٩، كان البريطانيون، وهم أكثر عناصر حلف الأطلنطى تشددًا فى هذا الأمر، يعتقدون أن الكلا أوك أكثر مسئولية عن عدد القتلى من الصرب. ورغم أن هذا يصعب تصديقه، إلا أنه يكشف لنا الكثير عن المدركات فى المستويات العليا فى حلف الأطلنطى. وإذا كان لنا أن نصدق الكم الهائل من الوثائق الذى تقدمه لنا وزارة الخارجية الأمريكية وحلف الأطلنطى ومنظمة الأمن الأوروبى وغير ذلك من المصادر الغربية، فإن شيئًا لم يتغير تغيرًا ملموسًا على الأرض حتى انسحاب مراقبى الأمم المتحدة والهجوم الذى وقع فى أواخر مارس عام ١٩٩٩، غير أن السياسات

تغيرت؛ إذ قررت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة شن هجوم على الصرب، وفى الحال تحول "الإرهابيون" إلى "مقاتلين من أجل الحرية" وبعد الحرب، صار "المقاتلون من أجل الحرية" هم وأقرب شركائهم "إرهابيين" و "سفاحين" و "قتلة" حين نفذوا، ما عدوه من وجهة نظرهم، أعمالاً مشابهة لأسباب مشابهة فى مقدونيا، وهى إحدى حلفاء الولايات المتحدة. ذلك أن الجميع يندد بالإرهاب، ولكن علينا أن نسأل عما يعنون. يمكنك أن تجد إجابة سؤالك فيما كتبت من آراء فى كتبى الكثيرة والمقالات التى كتبتها عن الإرهاب فى العقود العديدة الماضية، وإن كنت أستخدم اللفظ بالمعنى الحرفى، وبالتالى فإنى أندد بجميع الأعمال الإرهابية، وليس فقط تلك التى تسمى "إرهابية" لأسباب دعائية.

سؤال: هل الإسلام خطر على الحضارة الغربية؟ هل تشكل طريقة الغرب فى الحياة تهديدا للبشرية؟

تشومسكى: هذا السؤال أوسع وأكثر غموضًا بالنسبة لى، من أن أجيب عليه. ومع ذلك، يجب أن يكون واضحًا أن الولايات المتحدة لا تعتبر الإسلام عدوّا، والعكس بالعكس. أما عن "طريقة الغرب فى الحياة" فهى تشتمل على تنويعة كبيرة من العناصر، الكثير منها جدير بالإعجاب الشديد، والكثير منها يتبع بحماس فى العالم الإسلامى، وفيها الكثير مما هو إجرامى، بل ويعد تهديدًا لبقاء الإنسان. وبالنسبة "للحضارة الغربية" فربما يمكننا أن نتدبر الكلمات التى تعزى إلى غاندى حين سئل عن رأيه فى "الحضارة الغربية" قال: قد تكون فكرة طيبة.

* * *